

مفاهيم القرآن

(32) * الأشاعرة والتكليف بما لا يطاق ذهب لفيف من متكلمي الإسلام - و للأسف الشديد - إلى جواز التكليف بما لا يطاق، ولم يُصغوا لنداء العقل ولا الشرع، بل أهالوا التراب على فطرتهم القاضية بعدم صحّة التكليف بما لا يطاق. وقد اتّخذوا طواهر بعض الآيات ذريعة لعقيدتهم في هذا المجال، وها نحن نستعرض تلك الآيات وناقشها كي يتجلّى الحق. 1. (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ). (1) استدل الإمام أبو الحسن الأشعري (260-324هـ) على أنّهم كانوا مكلّفين بالسمع والابصار ومع ذلك ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون، فدلّ على جواز التكليف بما لا يطاق. وهذا الاستدلال يتبدّد بالتوضيح التالي: وهو أنّهم وإن كانوا مأمورين مكلّفين بالسمع والابصار ومع ذلك كانوا عاجزين عنهما لكن ذلك العجز لم يكن مقروناً بهم منذ بلوغهم وتكليفهم، وإنّما أدّى بهم التماذي في المعصية إلى أن صاروا فاقدين للسمع والابصار، فقد سلّبت عنهم هذه النعم بسوء اختيارهم نتيجة الذنوب التي اقترفوها، فكان لهم قلوب لا يفقهون بها، وآذان لا يسمعون بها، يقول سبحانه: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلَّوْهُمُ). (1) هود: 19-20.